

العَدَد: ٢

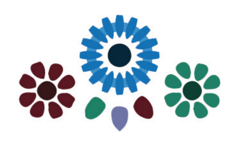
ذو الحجّة ١٤٤٢ هـ - يولية ٢٠٢١ م



الصِّدِّيقيّة

مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن

مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية

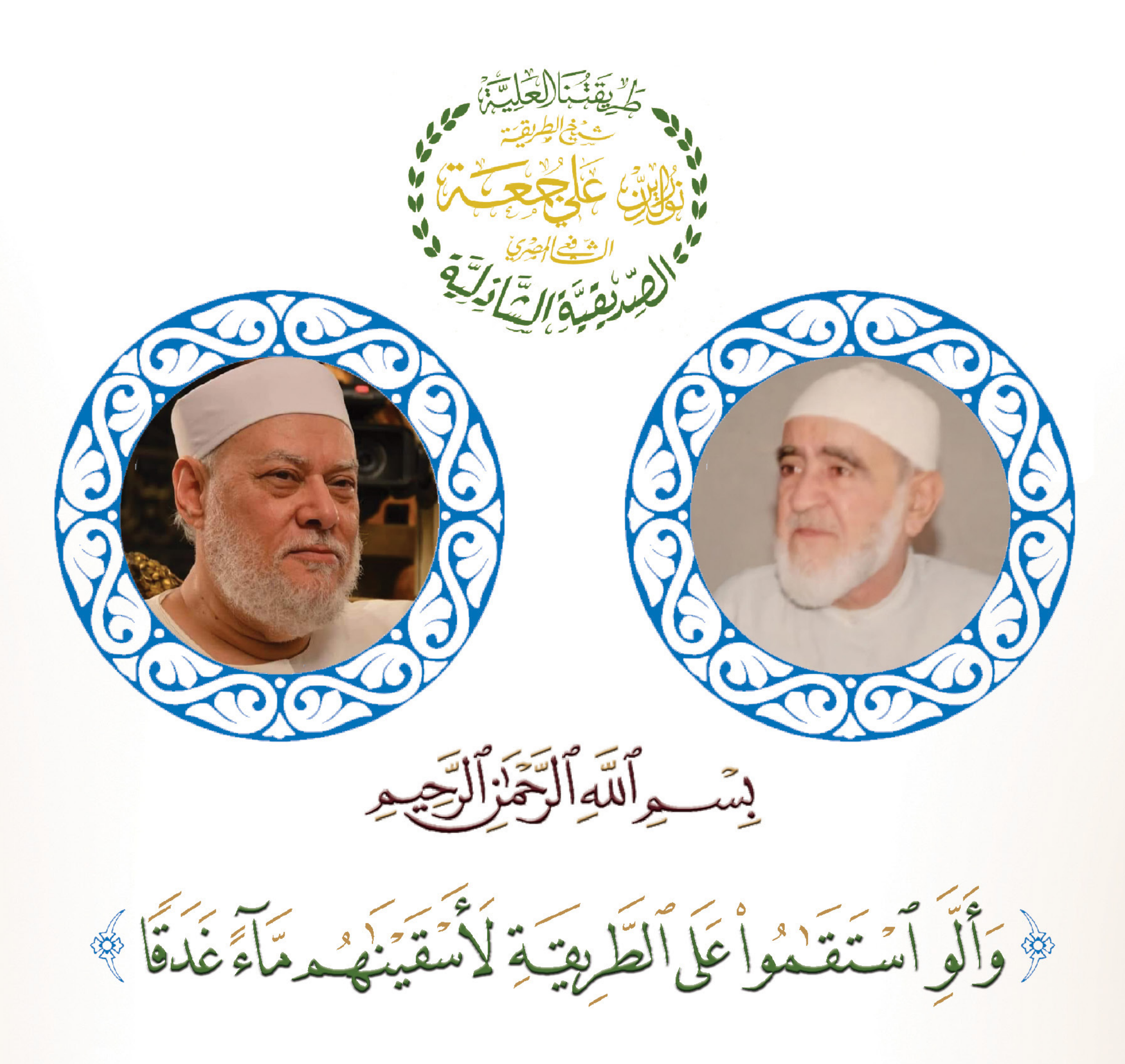


تحت اشراف

الأسْتاذ الدّكتُوْر عَلي جُمعَة

عُضْو هَيئَةِ كِبَار العُلمَاء بالأزْهَرِ الشَريْف





مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن

مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية

المشهرة برقم ٩٣٢ لسنة ٢٠٢٠

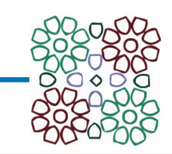
هَيْئَةِ التَّحْرِيْرِ

مُحَمَّد عِوَض المَنْقُوْش — عَبْدُاللهِ أبُوذِكرِى — عَبْدُالعَزِيْز مَعرُوْف

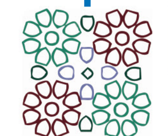
تَصْمِيْم وَتنْسِيْق

إيمَانْ أشرَفْ عِزَتْ

المحتويات



العَدَد: ٢ - ذو الحجّة ١٤٤٢ هـ - يولية ٢٠٢١ م



١

افتتاحية العدد

أ.د/ عَلى جُمُعَة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية

facebook.com/DrAliGomaa



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد...

اللهم أنزل علينا السكينة، اللهم افتح علينا فتوح العارفين بك، واسلك بنا الطريق إليك، سهل أمورنا وييسر غيوبنا واشرح صدورنا ونور قلوبنا، واحشرنا تحت لواء نبيك يوم القيامة، واسقنا من يده الشريفة شربةَ ماء لا نظمأ بعدها أبدا.

مَنَّ اللهُ سبحانه وتعالى علينا بأن تلقينا هذه الطريقة من مشايخنا الكرام، ونرويها بالأسانيد المتصلة عن سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وتلقيت هذه الطريقة المباركة أول ما تلقيت عن العلامة المحدث المجتهد الفقيه سيدي أبي الفضل عبد الله عن أبيه قطب الدنيا سيدي محمد بن الصديق الغماري وبسنده إلى منتهاه، وكان هذا مع بدايات القرن الخامس عشر الهجري، ثم بعد ذلك مَنَّ الله تعالى علينا بسند آخر للطريقة عن طريق سيدي الشيخ محمد زكي إبراهيم، وكان عالما عاملا، يخدم الناس وينمي شأنهم، ثم بعد ذلك مَنَّ الله علي بطريق ثالث لذات لطريقة الشاذلية عن طريق سيدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب الحصافي بسنده إلى منتهاه.

وكل هذه الأسانيد صبت في مشرب واحد، وسارت مسارًا واحدًا، كان نورا على نور، وهذا المسار هو أن طريقنا إلى الله مقيد بالكتاب والسنة.يرويه الخلف بموصول السلف، فلسنا أهل ابتداع، ولا أهل مرائي، بل نريد أن نكون على ما كان عليه سيدنا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام، فالخير كل الخير، في هدْي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل الذي أرسله الله سبحانه وتعالى خاتمًا للنبيين وإماما للمرسلين، ختم به النبوة والرسالة وأنزل عليه الكلمة الأخيرة، حتى قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»(١)

وهذه الأمة تميزت بأسانيدها، ولما خرج النابتة من الخوارج لم يكن عندهم سند إنما كانت عندهم آراء ووجهات نظر وشهوات ورغبات وتفسيرات واختيارات وانتقاءات يؤخرون ما يريدون أن يؤخره، ويقدمون ما يريدون أن يقدموه، فضلوا وأضلوا، وكان كل جيل منهم يتشدد عن الجيل الذي قبله لأنه لم يرث من العلم شيئا: لا فعلا، ولا علما، وإنما ورث هذه الطريقة العجيبة الغريبة التي ملأت الأرض ضجيجا وجعلت الدماء تسيل وشوهت صورة الإسلام في العالمين. والمؤمن يقول ما عَلَّمَه الله ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣]، ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة:٥٩]، ولكن كان ولابد – وقد بلغَ السَّيْلُ الزُّبَى – أن نُنشئ هذه الطريقة، وأن نُعلنها، وأن نعلِّم الناس ما قد تعلمناه، وأن نؤدي زكاة العلم ببذله، وزكاة العمل بنشره، فالحمد لله الذي وفقنا لهذا الطريق.

ونعيش في افتتاحية هذا العدد مع بعض مقولات أهل الله، و تتوارد عليّ أسئلة متكررة بخصوصها، وهي :«عدد الطرائق على أنفاس الخلائق»، وعلى الرغم من ذلك قالوا:«إن لكل شيخ طريقة»، وقالوا: «المريد ابن أول طريق»، أي ابن أول طريق أخذه بسنده.

وهذه المقولات جاءت مما يمكن أن نطلق عليه الدوائر المتتالية، فهناك دائرة يميل فيها الإنسان إلى طريق معين فيبدأ في هذا الطريق وفي أذكاره وأوراده وأحزابه وطريقة ترتيبه واختياراته، فإن كل طريق يختار من البحر الخضم ما يوافق وقته وقدرته، وكلهم من رسول الله ملتمس، فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هو البحر الكبير الذي يرتوي منه كل المسلمين، بل كل العالمين على يوم الدين.

وقد سألنا مشايخنا: «كيف نتخير بين

(١) أخرجه البخاري ٤٩٣٦، وأحمد ٢٢٨٦٢، واللفظ له.

الطرق المختلفة حيث إن عدد الطرائق على أنفاس الخلائق»، فقالوا بأمرين: «القرب من السُنَّة»، و«القرب من اليسر»، فإن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»[٢]، وقال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»[٣]. فما كان أقرب إلى السماحة واليُسر كان أولى، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما كان أولى، وما كان أقرب إلى الالتزام بسنته المباركة كان أولى.

ولأن المريد ابن أول طريق، كانت هذه هي الدائرة الأولى، فإذا دخلت فلم تجد نفسك ولا قلبك ولا طمأنينة للقلب في هذا الطريق انسحبت منه؛ لأنك لم تعد بعد منتسبا انتسابا يمنعك من الانتقال إلى غيره، وهذه هي الدائرة الأولى التي يمكن أن تقول فيها : « أنا شاذلي أو نقشبندي أو دسوقي أو برهاني أو صديقي»، وغير ذلك من أنواع الطرق المختلفة، والمسجل منها في مصر ثمانون طريقة إلا واحد، فهذه الطرق كلها — وهي تسعى إلى التربية والتخلية من كل قبيح والتحلية بكل صحيح، يختار المسلم ما أراد منها. لكنه إذا لم يجد قلبه ووجد أن أموره لم تنتظم ولم يُفتح عليه في هذا الطريق، فإن له أن يجرب طريقا آخر. وكل هذا خاص بالدائرة الأولى، وأنه يجوز لك في هذه الدائرة أن تقول: أنا صديقي صديقي شاذلي؛ لأنك تذكر بذكرهم وترتب مراتبهم ولكن لم تصل بعد إلى الدائرة الثانية. فالدائرة الأولى هي دائرة النسبة، حيث تنتسب فيها إلى الطريق، ولكن يجوز لك أن تتراجع فيه.

فإذا ما فُتِح عليك فيه، ووجدت قلبك، واطمأنت نفسُك له، وانتظمت حياتُك به، انتقلت إلى الدائرة الثانية، وهي دائرة البيعة، والعهد، والتي إذا أخذتها، فلا يجوز لك أن تنتقي أو تنتقل إلى طريقة أخرى. والحادث في عصرنا أن كثيرا من الناس يخلط بين الدائرة الأولى والثانية، وأنه بمجرد دخوله في الأولى يعتبر ويعود نفسه في الثانية، وهو بذلك لا ينال شيئا، حيث لا يصل في هذا المنسوب إليه، ولا يصل إلى درجة العهد. وكثير ممن تصدر في هذا الأمر يسمون هذا الانتساب بـ«العهد»، وهو من الناحية العلمية محل نظر، فالصحيح أنها دوائر وأن هذه الدائرة الأولى قد تأخذ معك سنين حتى يطمئن قلبُك ويُفتح عليك وتحدث ما يسمى بالإشراقات، وهي نعم من عند الله لكنها ليس مقياسا للحق.

ومن الإشراقات: الرؤى، والكرامات، والكشف، والفتح، ومعرفة الأسرار، والواردات، والخواطر، والإلهام، والإشارات، وهكذا نحو عشرين من الإشراقات.

---

(٢) أخرجه أحمد ٢٢٢٩١.

(٣) أخرجه البزار ٨٩٤٩.

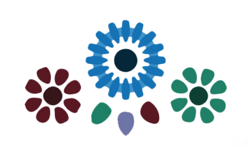
إلا أن هذه الإشراقات إذا حدثت، فليس معناها أنك قد وصلت إلى الله، بل معناها أن الله تعالى أنعم عليك بها، بما يوجب مزيد عمل وحمد له سبحانه وتعالى: «أفلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»، ومعناها أنك لابد أن تقوم بوظائف هذه النعم، فهذه الإشراقات نِعَم مثل نعمة المال، والصحوة، والقوة، والسلطة، والشهرة، والعلم ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[النحل:١٨]، والمهم فيم تستعمل هذه النعم، فمثلا إذا استعملت الغنى في معونة الناس واستعملت القوة في نصرة الحق والسلطة في إقرار العدل كنت على خير، أما إذا استعملتها في التكبر على الخلق، والإفساد في الأرض، والظلم لهم، فإنّ «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فأنت هكذا على باطل.

فهذه النعم لا نرفضها، ولا نأباها، لكن لا نعتمد عليها، ولا نقول: أعطاني ولم يعطك فقد فضلني عليك، وهذا واضح في القرآن الكريم في سورة الكهف، والقلم في «قصة أصحاب الجنة»، وغير ذلك.إذن النعم لابد أن تقوم بوظيفتها، ولابد أن تشكر عليها، ولابد أن تعدها نعمة تؤدي بك إلى الزيادة لا إلى التكبر على الناس.

إلا أنه لما فقد كثير من الخلق أن هذه النعم درجة ادعى بعضهم الرسالة وأنهم من مبعوثي

إلا أنه لما فقد كثير من الخلق أن هذه النعم درجة ادعى بعضهم الرسالة وأنهم من مبعوثي
العناية الإلهية وأنهم قد أُلْهِمُوا ما يصححون به سير البشرية حتى اختلت عقولهم ونفوسهم واضطربوا وأصبحوا على غير ما يريده الله منهم من عبادة الله وعمارة الأرض، وإذا وصل الإنسان إلى هذه المرحلة يصعب عليك أن يعود لأنه اعتمد على تلك المشاهدات والمرائي وظن أنها درجات قد رفعته إلى السماء بخلافك، فكيف يطيعك، ويضل ضلالا بعيدا، وكل هذا رأيناه في حياتنا وإن كانت قليلة.

ولقد نبه على هذا أهل الله فقالوا: «مُلتفت لا يصل»، فالملتفت إلى هذه الإشراقات وهي كثيرة لا يصل، لأنك حينئذ تعبد الله من أجل أن تحدث هذه الإشراقات والنعم، ولا تعبد الله لأنه يستحق العبادة، فينبغي علينا ألا نُفتن في مثل هذه، وهذا هو هدف الطريق: «النصيحة والحماية للسالك في طريق الله أن يَضِلَّ أو يُضَل».





بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم وبارك وعظم وعلى آله وصحابته والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أحب في هذه المقالات أن أعلق تعليقا موجزا على «رسالة التوحيد» للعارف بالله الشيخ أرسلان الدمشقي، وهي رسالة مشهورة معلومة اهتم العلماء بشرحها على مر العصور.

ومصنف هذه الرسالة العظيمة: «الشيخ أرسلان بن يعقوب بن عبد الله الدمشقي (ت.٦٩٩) أصله تركماني، ولد في قرية صغيرة بجوار الرَقَة بسوريا وأجداده من التركمان ، ووالده كان جنديا يحارب الصليبيين وعمل في النجارة وورث مهنة النجارة عن أبيه، وكان الشيخ متفرغاً للعبادة والعلم والذكر. [١]

وقد قام بشرح هذه الرسالة جماعة من أهل العلم والولاية على رأسهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في كتاب سماه: «فتح الرحمن

(١) انظر: ديوان الإسلام للغزي ١/٣٦، والأعلام للزركلي ١/٢٨٨.

بشرح رسالة الولي أرسلان»، وسيدي الشيخ عبد الغني النابلسي في كتاب سماه «خمرة الحان ورنة الألحان في شرح رسالة أرسلان»، وسأحاول هنا أن أقرب مفاهيمها بما فتح الله علي به من غير أن أتعرض لشروحها، وكل هذا بمدد مشايخنا جزاهم الله عنا خيراً والكل يستمد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو منبع الأسرار وترياق الأغيار.

يقول سيدي العارف بالله أرسلان الدمشقي قدس الله سره: «كُلُّك شِرْكٌ خَفِيٌّ. وَلاَ يَبِينُ لَكَ تَوْحِيدُكَ إِلاَّ إِذَا خَرَجْتَ عَنْكَ؛ فَكُلَّمَا أَخْلَصْتَ يُكْشَفُ لَكَ أَنَّهُ هُوَ لاَ أَنْتَ فَتَسْتَغْفِرُ مِنْكَ. وَكُلَّمَا وَحَّدْتَ بَانَ لَكَ الشِّرْكُ، فَتُجَدِّدُ لَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَوَقْتٍ تَوْحِيدًا وَإِيمَانًا. وَكُلَّمَا خَرَجْتَ عَنْهُمْ زَادَ إِيمَانُكَ، وَكُلَّمَا خَرَجْتَ عَنْكَ قَوِيَ يَقِينُكَ.

يقول الشيخ المصنف: «كُلُكَ شِرْكٌ خَفِيٌ وَلَا يَدِينُ لَكَ تَوحِيدُكَ إلَّا إن خَرَجْتَ عَنْك»

كلك أيها الإنسان شرك خفي؛ لأنك ترى أن لك حولاً وقوةً وإرادةً، وأنك موجود مع الله، فكأنك اعتقدت أن مع الله شيئا فأين التوحيد إذن؟! والتوحيد: أن تعتقد أنه ليس مع الله شيء، فحتى لو قلت بلسانك: لا اله الا الله وأنت ترى نفسك وقوتك وحولك وتشعر بذاتك فهذا هو عين الشرك وإن كان خفياً لا تدركه، تظن أن لك عملاً والعامل في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى ، وتظن أن لك ذكرا والذاكر هو الله سبحانه وتعالى، وتظن أن لك إرادة والمريد هو الله سبحانه وتعالى، وتظن أن لك عبادةً والمقَوّي عليها هو الله سبحانه وتعالى، ولذلك يقول «كُلُكَ شِرْكٌ خَفيٌ» اي بالنظر إلى حولك وقوتك واغترارك بنفسك كما قال الكافر-قارون-: ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾[القصص:٧٨].

فأنت تقول ذلك بلسان حالك لا بلسان مقالك تقول «أنا فعلت وأنا اجتهدت وأنا فهمت وأنا قلت وأنا وأنا وأنا» من أنت ؟؟!! فلا يقول أنا إلا الله سبحانه وتعالى، لأنك لست موجوداً مع الله حتى تقول أنا، بل أنت موجود به فلا أنا لك أصلاً. والذي يقول أنا بحق هو القائم على كل شيء، وما زلت تشعر بنفسك وهذه اثنينية، فأين التوحيد؟

ثم قال المصنف:«وَلَا يَبِينُ لَكَ تَوحِيدُكَ إلَّا إن خَرَجْتَ عَنْك» أي بالتبري من حولك وقوتك، وأن تعلم أنه لا وجود لك مع الله سبحانه وتعالى، بل وجودك به لا معه، فإذا علمت ذلك بدأت بنفسك وانتهيت به سبحانه وتعالى، بدأت لله وانتهيت بالله، فالبداية لله اجتهاداً منك وظناً أن الاجتهاد صدر منك

فيكون اجتهادك وعملك معلولان من البداية حتى تكتشف ذلك بنور التوفيق، فتعلم أن الذي خلق فيك الفعل هو الله سبحانه وتعالى، والذي وفقك وقوّاكَ هو سبحانه وتعالى، فتتبرأ من حولك وقوتك فتخرج عنك أي: عن نفسك وعن إرادتك وعن قدراتك فتعبده بالافتقار فلا تعتمد على عملك كما قال ابن عطاء الله السكندري « من علامة الاعتماد على العمل قلة الرجاء عند وجود الزلل».

قول الشيخ المصنف :« وَلَا يَبِينُ لَكَ تَوحِيدُكَ إلَّا إن خَرَجْتَ عَنْك»، وسيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه يشير إلى هذا المعنى فيقول: «وخذني إليك مني وارزقني الفناء عني ولا تجعلني مفتوناً بنفسي محجوباً بحسِّي» فالمعنى واحد وكل واحد من العارفين يعبر عنها بطريقته.

ولقد عبرت عن هذا المعنى في الصلوات اليسرية بطريقة أخرى «فأكون فانياً في عين بقائك وباقياً في عين فنائي».

وقال سيدنا أبو اليزيد البسطامي في إحدى مواقفه مع الله ومخاطباته لله، قال لربه يخاطبه بكله: «ربِّ كيف أجدُك؟ قال فخاطبني من داخلي: اتركْ نفسكَ تَجِدْنِي».

ثم قال المصنف «فكلما أخلصت يكشف لك أنه هو الذي خلَّصك له، وهو الذي أعطاك وأولاك وقربك، وهو الذي أوجدك من البداية وأمدك في أثناء وجودك ووفقك، فهو الفاعل على الحقيقة، فكلما أخلصت أي خلَّصت أعمالك من رؤية نفسك فيها سيكشف لك أنه هو الفاعل لا أنت. ثم قال المصنف: «وَكُلَّمَا وَحَّدتَّ بَانَ لَكَ الشِّرْكُ»، لأنك أيقنت أنه سبحانه مصدر الوجود، والله هو الواحد وصور الوجود كثيرة وهذا معنى «وحدة الوجود» عند الصوفية فلم يقصدوا أن الله حَلَّ في موجود، لأنه لا موجود بحق إلا الله تعالى، فيتضح لك أن كل من رأى أن معه شيئا لم يوحد: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فأكبر الشهود أن ترى الله فإن رأيت الله لا ترى معه شيئا.

ثم قال المصنف «وَتُجَدِّدُ لَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَوَقْتٍ تَوْحِيدًا وَإِيمَانًا» في كل لحظة يردك إليه فتجد توحيداً جديداً فترد مع كل لحظة إليه، فتتغير أحوالك ويردك إليه، ويتجدد الإيمان باستمرار، فأنت محتاج إلى أن تجدد التوحيد مع كل نَفَس، والصوفية عندهم عبادة يقولون عنها «عبادة النَّفَس» فتجدد له مع كل ساعة، والمقصود بالساعة هنا: الوقت وليس المقصود بها الساعة الزمنية المتكونة من ستين دقيقة، ولذلك قال ابن عطاء الله السكندري في الحكم: «علمتُ أن مرادك مني أن تتعرف إليّ في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء».

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

يتبع



بِسْمِ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاه، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ أَشْيَاخِنَا وإِخْوَانِنَا وَأَبْنَائِنَا وَبنَاتِنَا وَأَوْلِيَاءِ اللهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ...

كُلَّمَا قَرَأتَ أيها المريدُ في الشَّمَائِلِ المحمديةِ كنتَ كأنك شَاهِدٌ حاضِرٌ تُنْبِئ عن قُرْبِ الْعَهْدِ مِنْ مَشْهَدِ الْحُسْنِ الْكُلِّيّ، فكأنك من رِجَالِ الصَّدْرِ الأوَّلِ، بَلْ مِنْ رِجَالِ الْقُرْبِ يَومَ «أَلَسْتُ»، فإنَ شَوَاهِدَ الْحُسْنِ بعضُها أقوى من بَعْضٍ، وبعضُها أظْهَرُ من بَعْضٍ، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أحْلَى وَأحسَنُ مِن كُلِّ شيء مِن الْبَشَرِ ومن غيرِ الْبَشَرِ، عند كُلِّ ذِي ذَوْقٍ سَلِيمٍ، وَطَبْعٍ قَوِيمٍ، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أحْسَنُ من الشَّمْسِ والْقَمَرِ، وأحسَنُ حتى من الْكُرْسِيّ وَالْعَرْشِ، فإنه وإن كان صلى الله عليه وآله وسلم من البشر، ولكنه ياقوتة بين الحجر، فلا تقف عند خصائصه البشرية المجردة فحسب، بل اسأل المولى تبارك وتعالى أن يرزقك النظر إلى سر الخصوصية في نبيه المصطفى، وحبيبه المجتبى صلى الله عليه وآله وسلم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[الكهف:١١٠]، ولذلك جَعَلَ اللهُ تعالى جَمِيلَ حِكْمَتِه في أقوَالِ وَأفعَالِ وأحوَالِ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم، فَطُوبَى لِمَن عَرَفَ قَدْرَه وَاقتَفَى أثَرَه، ولا يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ إلاَّ بِطَلَبِ سِيرَتِه وَالتَّعَرُّفِ عَلَى شَمَائِلِه صلى الله عليه وآله وسلم، في خلاصة مفادها: كُنْ خِطَابَ النَّبِيّ للأكْوَانِ، كَمَا كَانَ هُوَ صلى الله عليه وآله وسلم خِطَابَ اللهِ تَعَالَى للأكْوَانِ، بِأنْ تَحْفَظ أوْصَافَ النَّبِيّ الْعَدْنَانِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَتَكُنَ كِتَابًا مَفْتُوحًا للأكْوَانِ، يُقْرَأُ فيهِ صِفَاتُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ

صلى الله عليه وآله وسلم رَحْمَةِ اللهِ لِلْعَالَمِينَ، فَيُنْهَلُ مِنْكَ نَهْلَةً مُبَارَكَةً مُيَسَّرَة، وَهَذَا مِنْ عَلامَةِ سَعَادَتِك، وكما قال شيخنا الإمام العلامة رضي الله عنه «من علامة سعادة المؤمن أن يحفظ أوصاف النبى صلى الله عليه وآله وسلم».

وبداية لابد وأن يعلم كل محب أنه:

١. لا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ وَصْفِه صلى الله عليه وآله وسلم إلا خَالِقُه، وأنه لا يَقْتَرِب مِنْ حَقَائِقِ أَوْصَافِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم إلا أَهْلُ الْعِنَايَةِ وَالْفَتْحِ، وَكُلٌّ بِقَدْرِه،

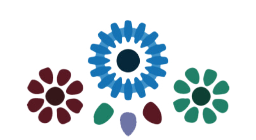
٢. أنك كُلَّمَا قَرَأتُ شَمَائِلَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم تَغَيَّرَت ذَرَّاتُ جَسَدِك ورُوحِك، لأنك كُلَّمَا قَرَأتُ شَمَائِلَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ازْدَدتُ به تَشَبُّعًا، وازْدَدتُ له تَعَرُّفًا، وازددتُ له شَوْقًا وَطَلَبًا، بَل ازْدَدتُ له عِشْقًا وَحُبًّا، وأنه كُلَّمَا تَعَرَّفْتُ عليه اقْتَرَبْتُ منه فَأَحْبَبْتُه أكثرَ، والقريبُ من القريبِ قريبٌ، فإذا كان هو القريبُ من المولَى عز وجل، فكُلَّمَا اقتربتُ منه اقتربتُ من مَوْلانا وخَالِقِنا، فكنتُ فى الْجِوَارِ الْحَقِّ.

أما القواعد الْعَلِيَّة، فخلاصتها عشرون جَلِيَّة، تختمها قاعدة أخرى ذهبية، ونتممها بفائدة بهية، وسأبدأ في مقالي هذا بذكر قاعدة وشرحها وأتبع باقي المقالات بباقي القواعد وشرحها بعون الملك الوهاب:

القاعدة الأولى

«فى حب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأن حُبَّه لا يقتضى تأليهه»، وهي الإجابة عن سؤال: هل حُب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أَمْرٌ تَعَبُّدِيّ، أم وِجْدَانِيّ، وهل تُمْلِيه شَخْصِيَّتُه صلى الله عليه وآله وسلم والإِفَاضَةُ الرَّبَّانِيَّة غير المحدودة فيه وحده والتى لم تُمنَح لغيره؟ إلى غير ذلك من الأمور؟ وحقيقة الأمر أنه كل هذا وأكثر، فهو حب هابط على القلوب، يزرعه الإله، ويرْوِيه الإنسان، وينمّيه الدين، وتفرضه كل المناسبات والاعتبارات. إن حبنا لسيدنا صلى الله عليه وآله وسلم حب معانى، إلهى ربانى، لا حب صور، ومبانى، ولكنه لا ينفى ما فيه من حب لشكله وصورته صلى الله عليه وآله وسلم. وانتبه فمحبته صلى الله عليه وآله وسلم هى الأساس فى المحبة الإلهية، فهي التي أوصلتك إلى محبة الله لك: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[آل عمران:٣١]. ومن فضائل المحبة أن الله تعالى سَمَّى بها أحبَّ خلقِه إليه محمدا حبيبا لله، فصار الحبيب المحبوب، وكل ما يفعله المحبوب محبوب. وهذا الحب الإلهى هو السُّلَّم الذى يرقى بالعارفين، والحب سر الكمال، والحب عطاء، ولا عطاء من نقص ولا من ناقص، والحب فيض، والحب لا من محتاج. وفي الصحيحين: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ

إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»، ولم يقل الله وحده أحب إليه مما سواه، بل قال «سِوَاهُمَا». فالسِّوَى والأغيار فى أمور العقيدة تختلف عنها فى أمور المحبة والتوجه، والمعاملات والسلوك والتطبيق، والطريق إلى الله، فالله تعالى هو الذى أوجب محبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم. وهنا نتذكر قول شيخنا الإمام العلامة رضي الله عنه: «إن قِيَم الحب الأصيلة هى التى كانت تحكم أحداث عصر النبوة، ولن نستطيع أبدا أن نستوعب مثل هذه الحوادث والدلائل إلا إذا لبسنا نظارة الحب حتى نرى ونتذوق ونستمتع، حينئذ فقط يمكن فهم الأسباب والدوافع والحالة الشعورية والوجدانية التى عاشها الإنسان فى هذا المكان وفى هذا الزمان، نعم كان الصحابة يعيشون حالة حب دائمة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طاقة حب ورحمة وحنان ورأفة وَرِقَّة تسرى روحها فى كل شئ حتى الجماد .. فإن أردتم أن تُحَاكِمُوا أحدا فحاكموا الحب، واعدموه، هذا إن وجدتموه بينكم أو عرفتموه .. فالعاطفة هى الشئ الوحيد القادر على تحريك النفس بهذا الشكل .. وإن حبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلهم أحرص الناس على الاجتماع به وأخوف الناس من الافتراق عنه» .. والسؤال المهم: ما هى الوسيلة الناجحة والسبيل الواضح القريب للتشبع بهذا الحب وجنى ثماره اليانعة؟ والجواب: الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فهى الوسيلة الدائمة التى يعبر بها المسلم عن حبه لرسوله فى كل وقت وحين. ومن ثم كان الحب هو النواة الأولى والركيزة الأساسية التى ينطلق منها الطريق إلى الله، ولما أدرك الفاروق رضي الله عنه ذلك قال: «فَلأَنْتَ الآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِى»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «الآنَ يَا عُمَرُ»، والتطبيق نلمحه من توجيه شيخنا الإمام العلامة رضي الله عنه: «وَاجِهُوا الأَكْوَانَ بِالْحُبِّ، وَاحْتَووهم بِالْحُبِّ، حتى ولو اختلفوا معكم».



٤

التصوف حالا ومآلا

د / فتحي عبد الرحمن حجازي

أستاذ البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر

الحمد لله وحده، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ووافر آلائه، وسابغ نعمائه، وواسع رحمته وأفضاله، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان الجليلان، مع البركات والطيبات على سيدنا ومولانا محمد المبعوث بالآيات والبيانات رحمة للعالمين، وهو الشفيع يوم الدين: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

وعلى آله الأطهار والتابعين لهم بإحسان مع أصحابه الأخيار، والتابعين والأنصار، والأولياء والصالحين ما دام الليل والنهار، وشرفت بهم البقاع والأنهار، فاللهم اجعلنا منهم محبين، وبهم مقتدين، ومعهم يوم يبعثون ، وبعد.

فقد طُلب مني أن أكتب كلمة عن «التصوف»، ومن أنا حتى أكتب في هذا الميدان، وأسير مع هؤلاء الرجال الأخيار، ونحن في عصر ضعفت فيه الملكات الروحية، والقوى الجسدية، وقلّت فيه الأعمال الخيرية، وصارت حياة السابقين من أهل الله حديثًا يروى، وقصصا في المجالس للاعتبار، ولكن لن نستطيع كما أرى أن نحتذي حذو واحد منهم في هذا السبيل؛ لأن الفتن قد عمّت، والغفلات قد طمَّت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولكن سأكتب لعل واحدًا ينتفع بكلمة مما سطرت تكون سببا في عفو الله سبحانه وكرمه، فإن الله جلت حكمته يقبل القليل، ويثيب عليه الجزيل، وصدق الله العظيم: ﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

فتعال معي أخي المؤمن لننظر في كلمة «تصوف» و«صوفي» في لغة القرآن أولا ؛ لأن اللغة العربية في أصلها بداية للمعاني الروحية، فاللغة تقول [1] : «صوّف النبات: ظهر عليه، مَا يشبه الصُّوف ، ثم يقال: تصوّف فلَان صَار من الصُّوفِيَّة، والتصوف: طَرِيقَة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النَّفس وتسمو الرّوح».

و«علم التصوف» مَجْمُوعَة المبادئ والآداب الَّتِي بها يتأدب هؤلاء الصوفية في حياتهم مع أنفسهم، والذين من حولهم حتى يأتيهم اليقين؛ أي: الموت، على حدّ قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

ولو أنك جعلت الواو في نهاية الكلمة فقلت: «صفا»، وجدت المعنى السابق وزيادة، فيقال: صفا صفوا، وصفاء: خلص من الكدر، وصفا الماء كذلك صار رائقا، وصفا الجو اليوم: لم يكن به غيم، فهو صاف. ألا ترى معي أن المعاني متآلفة تدور حول التصفية والتحلية، وهذا ما يقال عند أهل الله تعالى: «التّخْلية والتّحلية»؛ أي يتخلى عن الرذائل، ويتحلى بالفضائل، وهذا ما جاء به سيد الأنام ومصباح الظلام، ورسول الملك العلام، إلى عباده المهتدين، ومن أراد السعادة في دنياه إلى يوم الدين.

وبهذا نستطيع أن نقول: إن الأصل في الكلمة يدور حول «التصفية»، وهذا ما فهمه العرب قبل الإسلام، ثم جاءت الشريعة؛ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

قال شيخنا الكردي في حد التصوف: «هو علم يعرف به أحوال النفس محمودها، ومذمومها، وكيفية تطهيرها من المذموم منها، وتحليتها بالاتصاف بمحمودها، وكيفية السلوك والسير إلى الله والفرار إليه» [2].

وهذا التعريف جامع مانع شامل لصورة التصوف عند أهل الله من الأولياء والتابعين ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[يونس:٦٣].

وقد أنشد الإمام الجنيد [3] :

علم التصوف علم ليس يدركه....
إلا أخو فطنة بالحق معروف

وكيف يدركه من ليس يشهده ....
وكيف يدرك ضوء الشمس مكفوف

فانظر أيها العاقل إلى المعنى الاصطلاحي واللغوي لترى لحمة النسب بينهما، فالصوفي من صفت نفسه من الكدر ، وامتلأ بالعبر، واستوى عنده الذهب والمدر، وهذا ما يقوله الأكابر منهم، لأنهم عاشوا مع الله أنقياء أصفياء فصارت الدنيا في أيديهم، ولم تصل إلى قلوبهم؛ لأن قلب الصوفي قد امتلأ بنور وذكر مولاه، فلا ينشغل بأحد سواه، ويعيش حياته مع

(١) المعجم الوسيط مادة «صاف».

(٢) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ج.٢، ص.٢٢٥

(٣) ينظر قوت القلوب لأبي طالب المكي الأنطاكي ٢٤٤/١

الله حتى يخرج من دنياه إلى رحاب رحمة من تولاه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[القمر: ٥٤-٥٥].

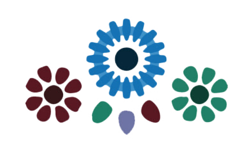
وكان شيخنا الأستاذ الدكتور محمد يسري سيد زعير[٤] -رحمه الله تعالى- يقول لي: «يا بني الصوفية أراحوا أنفسهم؛ لأنهم اعتصموا بالله وساروا في هذه الحياة، فما نظروا إلى متاع زائل، ولا إلى ابتلاء قائم، فالكل بيد الله، وما لنا من أحد سواه، بذلك استراحت نفوسهم، وعاشوا في عبادة ربهم حتى أتاهم اليقين».

لذا كان هذا الطريق «التصوف» مأخوذا من الله تعالى عن طريق المرسلين من أبينا آدم إلى سيدنا محمد خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم. قال شيخنا صاحب التنوير: «واضعه الله تبارك وتعالى، وأوحاه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأنبياء من قبله، فإنه روح الشرائع، والأديان المنزلة كلها».[٥]

وكان أستاذنا «محمد يسري» رحمه الله تعالى يقول: أُحب أن يُقَالَ «صوفي» لا «متصوف»، وهو صاحب لغة دقيق في البيان، ثم يقول: إن التاء في «تصوف» للافتعال، وأهل الله قد صفت نفوسهم، فلا يتكلفون فالأولى أن يقال: «صوفي» لا «متصوف»، وهذا فهم دقيق، وبيان وتحقيق، فرضي الله عنه وأرضاه.

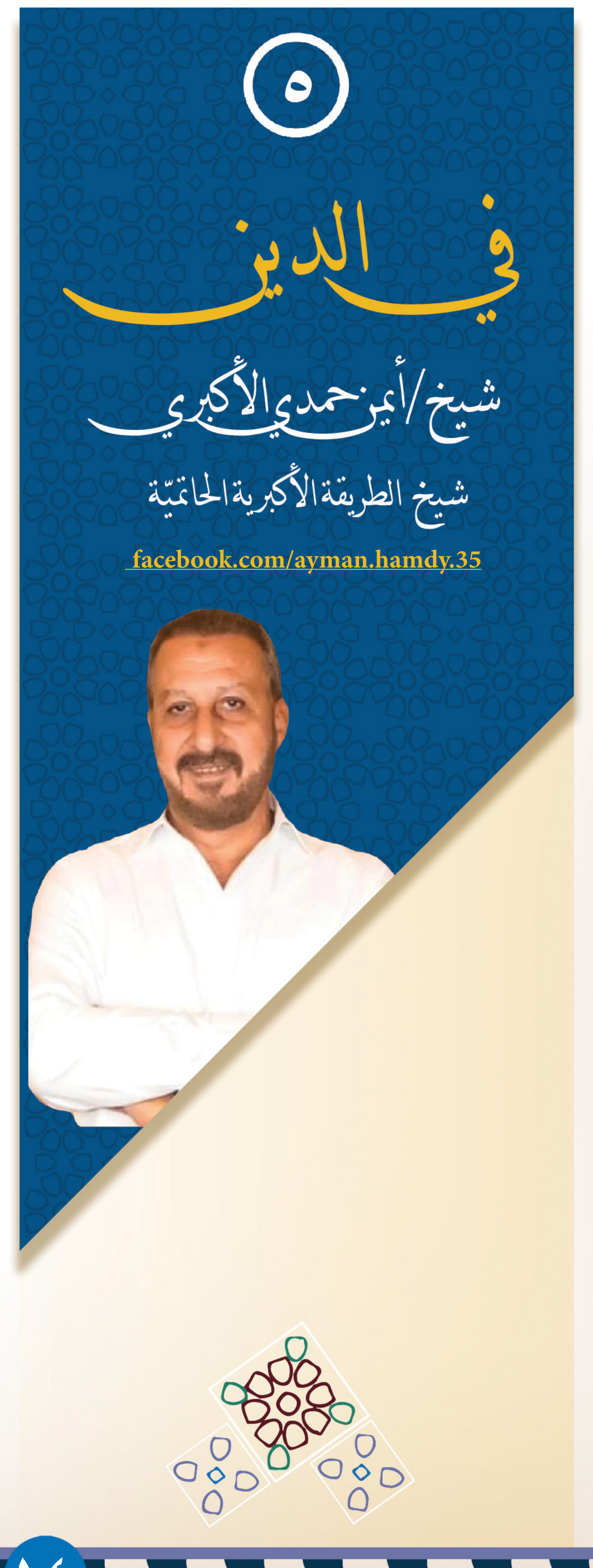
فمن كان على حالهم، وسار على سبيلهم، فهو منهم وبهم، ومن كان على غير هذا الطريق، متكلفا في هذا السبيل، فهو داخل عليهم، وليس منهم، وهذا موجود ومعهود، وهؤلاء لا يثبتون، وإنما إذا قَضوا مآربهم ووصلوا إلى ما يريدون خرجوا من بينهم وهم آثمون، وما الله بغافل عما يعملون.

فاللهم اجعلنا موصولين بك، ذاكرين شاكرين لك، عابدين مجاهدين في سبيل رضاك، حتى يأتينا اليقين، ونعم أجر العاملين. وصلى الله وسلم وبارك على رائدنا وإمامنا وسيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين.



(٤) عالم من علماء الأزهر الشريف، من كبار المتخصصين في اللغة العربية درس بكلية البنات ثلاثا وأربعين سنة، توفي سنة ٢٠١٥م رحمه الله رحمة واسعة.

(٥) تنوير القلوب ٢/٢٢٥



الحمد لله، وبعد...

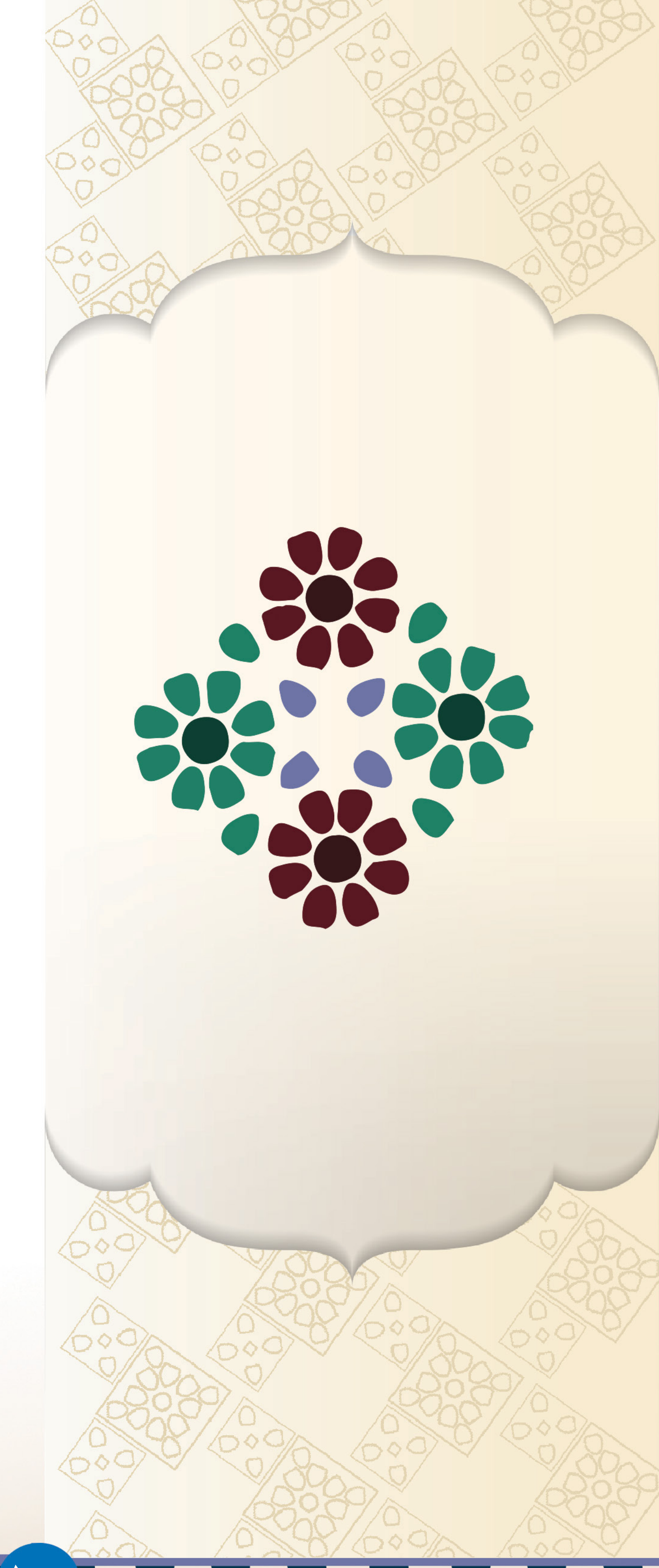
قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: «هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم»، فالدين عِلمٌ، وَلكُلِّ عِلْمٍ أسرارٌ، وتتمايز مراتب أهل كل علم بحسب تحصيلهم لتلك الأسرار، وقد سمّوا الدين شرعًا لما شرَّع فيه الحق تعالى للعبد ما يدين به نفسه، ويرى فيه الصلاح له ولمن حوله، فالشرعُ وجهُ الدين الظاهر للخلقِ، وعِلم الشريعة كسائر العلوم، ولذا تقدَّم فيه مَن تقدَّم وتأخر من تأخر، بل من الناس من اعتقد ومنهم من أنكر، ، والدين أوسعُ مِنَ الشرعِ وأعم، وهو عند الله الإسلام، فهو على التحقيق واحدٌ، وتتنوع الشرائعُ بحسب أحوال أهل كل زمانٍ، ومشرب النبي المرسَل لكل قومٍ، وهُم صلوات الله عليهم مظاهرُ الحَقِّ ومجالي أسمائه، فكانت كل شريعة مُنزَّلة لهداية قومٍ بحسب أحكام الاسم الذي نبي تلك الأمة مجلى له، حتى بعث الله سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال جل شأنه:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، فكان إكمال الله تعالى الدينَ للناس بإنزال أتمّ الشرائع وأجمعها، أرسل بها خاتم الأنبياء المرسلين سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال فيه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، فكان الدين لله والشرع للرحمن، فمن لم يجد أنفاسَ الرحمن في الشرع لم يدرك من الدين إلا الرسوم.

ولقد توهم كثيرٌ من الناس بالظَّنِّ أنَّ الشريعة عبارة عن الرسوم الظاهرة، وما علموا أن ما ظهرَ مِنَ الشيء لشخصٍ ربما لم يكن عين ما ظهر لغيره، وذلك لتفاوت أحوال الحواسِّ في الناس ما بين صحة وسقم، وتمايزهم في الفِطَر والأفهام كذلك.

وما نازع من نازع إلا لغفلته عن أن لكل شيء ظاهرٌ وباطنٌ، فالشَّريعَةُ ظاهرُ الدين، والحقيقةُ باطِنُهُ، وكلٌّ منهما بَحْرٌ لا يُدرَكُ قَعرُهُ، وقد جَعل الله بين كلِّ بحرين برزخًا، والبرزخ لابد وأن يقابل كلا البحرين بذاته، فلا تحسبن أن الله جعل البرازخ للفصل ولا للوصل، إنما جعلها حفظًا من البغي والطغيان، قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩ – ٢٠].

فالدينُ ـ على ظهوره ـ له ظاهرٌ هو ما أنزله الحق تعالى باللسان العربي المبين وخاطب به الناس أجمعين، وهو المسمى شريعة، وله كذلك باطنٌ هو علم الحقيقة، ويتمايز في كليهما الناس تمايز معرفة أهل كل علم بأسراره.

أما البرزخ الجامع الذي جعله الله بين الشريعة الظاهرة والحقيقة التي هي باطنُ الدين فهو المسمى طريقة، فمن لم ير الوجهين فيها فما شَمَّ من الطريقة رائحة، ولا سنحت له من الشريعة سانحة، ولا لاحت له من الحقيقة لائحة، ولا دعا لغير البُرح والبارحة.





اللّهم صلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ
عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِك
سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ
وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّم
عَدَدَ مَعْلُومَاتِك وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ
كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ
وَغَفَلَ عَن ذِكْرِهِ الغَافِلُون

ذكرها الإمام الشَّافِعِى رَضِى الله عنه فى الرسالة



الحقيقة المحمدية ووظائفها في مفهوم الشيخ الأكبر ابن العربي رضى الله عنه

الشيخ الأكبر أصل من أصول الفهم العرفانى، ولا يمكن لباحث جاد يريد التعرف على أى حقيقة صوفية، إلا ويلزمه السبح فى بحر الشيخ أو على الأقل يقف على ساحله. وإذا أردنا أن نتعرف على مفهوم الشيخ الأكبر للحقيقة المحمدية وتصوره لها فسندع المجال للدكتورة سعاد الحكيم لتجلى لنا هذا المفهوم من خلال كتب الشيخ فتقول:

«الحقيقة المحمدية: هي أكمل مجلى خلقي ظهر فيه الحق ، بل هي الإنسان الكامل بأخص معانية. وإن كان كل موجود عند ابن عربي هو مجلىً خاصاً لاسم إلهي، فإن محمداً قد انفرد بأنه مجلى للاسم الجامع، وهو الاسم الأعظم (الله) ولذلك كانت له مرتبة الجمعية المطلقة، وللحقيقة المحمدية التي هي أول التعينات عدة وظائف ينسبها إليها الشيخ الأكبر :

١. من ناحية صلتها بالعالم: الحقيقة المحمدية هي مبدأ خلق العالم وأصله من حيث إنها النور الذي خلقه الله قبل كل شيء، وخلق منه كل شيء «حديث جابر»، وهي أول مرحلة من مراحل التنزل الإلهي في صور الوجود ، وهي من هذه الناحية صورة «حقيقة الحقائق».

٢. من ناحية صلتها بالإنسان: يعتبر ابن عربي ، الحقيقة المحمدية: منتهى غايات الكمال الإنساني ، فهي الصورة الكاملة للإنسان الكامل الذي يجمع في نفسه حقائق الوجود.

٣. من الناحية الصوفية: هي المشكاة التي يستقي منها جميع الأنبياء والأولياء العلم الباطن.

من حيث إن محمداً له حقيقة الختم «خاتم الأنبياء» ، فهو يقف بين الحق والخلق ، يقبل على الأول مستمداً للعلم منقلباً إلى الآخر ممداً له وسنثبت ما تقدم بنصوص ابن عربي كما تعودنا ذلك ، يقول:

« ... بدء الخلق الهباء، وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية، ولا أين يحصرها لعدم التحيز

ومم وجد ؟ من الحقيقة المعلومة التي لا تتصف بالوجود ولا بالعدم (حقيقة الحقائق)

وفيم وجد ؟ في الهباء ...

ولِمَ وجد ؟ لإظهار الحقائق الإلهية ...».

ويقول الشيخ فى الفتوحات المكية:

«فلما أراد (الحق) وجود العالم وبدأه على حد ما علمه بعلمه بنفسه، انفعل عن تلك الإرادة المقدسة بضرب تجل، من تجليات التنزيه، إلى الحقيقة الكلية (حقيقة الحقائق) انفعل عنها حقيقة تسمى : الهباء ... ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور، وهذا هو أول موجود في العالم ... ثم أنه سبحانه تجلى بنوره إلى ذلك الهباء ... والعالم فيه القوة والصلاحية، فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء، على حسب قوته واستعداده كما تقبل زوايا البيت نور السراج ... فلم يكن أقرب إليه قبولًا في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد المسماة بالعقل، فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود، فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية، وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه».

يظهر من النص الأخير أن الحقيقة المحمدية أول ظاهر في الوجود، وإن كان وجودها عن الهباء وحقيقة الحقائق، فالأول: أي الهباء حقيقة معقولة غير موجودة في الظاهر.

والثانية: أي حقيقة الحقائق لا تتصف بالوجود ولا بالعدم.

إذن ، يتبقى أن (الحقيقة المحمدية) هي أول موجود ظهر في الكون، ومن تجليه ظهر العالم ا.هـ

الحقيقة المحمدية هى البرزخ الجامع

الحقيقة المحمدية بهذا المفهوم هى البرزخ الجامع بين الحق والخلق، وهذا يعنى أنه لا ينزل شئ إلا عليه ولا يصعد إلا إليه. فما من تجل من التجليات الالهية إلا وللحقيقة المحمدية منه حظ وافر، ومامن شئ من بر الخلق وخيرهم فى عباداتهم ومعاملاتهم إلا ويُعرض عليه ويكون له صلى الله عليه وآله وسلم نصيب من آثار هذا الخير لكونه الدال عليه والهادى إليه.

وهذا ما يؤكده أهل العلم؛ من أن العبد لا يعمل حسنة الا ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلها فى ميزانه، لأنه الدال عليها والمرشد إليها، فإن فعل العبد سيئة كتبت له سيئة وكتبت فى ميزانه صلى الله عليه وآله وسلم حسنة لأنه نهى عنها وحذر منها.

وثبت فى الحديث الذى رواه البزار وغيره بسند رجاله رجال الصحيح «حياتى خير لكم تُحدثون ويُحدث لكم فإذا أنامت كانت وفاتى خيرا لكم تُعرض على أعمالكم فما

وجدت من خير حمدت الله وما وجدت من شراستغفرت الله لكم.

إذن معاملة الخلق معه صلى الله عليه وآله وسلم فهو الواسطة فى حصول سائر السعادات الدنيوية والأخروية

فالحقيقة المحمدية تتلقى من الحق وتفيض على الخلق ، فهى لها وجهة حقيقة ووجهة خلقية

الحقيقة المحمدية عند الإمام الكتانى

يقول الإمام الختم الأحمدى السيد محمد بن عبد الكبير الكتانى المتوفى ١٣٢٧ قدس سره فى حكمه القدسية متحدثا عن الحقيقة المحمدية

١. (الحقيقة المحمدية اسمٌ أعظم باعتبار؛ لأنها بوجهاتها الخَلْقية قائمةٌ مَقام العالَم كُله.

٢. شاكلتْ الحقيقة المحمديةُ الأشياءَ من باب التنزُّلات، وباينتهُم في الحقيقة.

٣. الذات المحمدية مواجهةٌ كل موجود، فالمغبون: مَن حُرِمِ مُحاضَرَتَها ومُشاهدتها عند كل شيء.

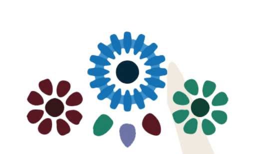
٤. الذات المحمدية وجهٌ بلا قفا.

٥. ارتباطُ الأشياء بالمراتب المحمدية ارتباطُ العِلة بالمعلول؛ لا ينفكُّ عنها شيء.

الفرق بين الحقيقة المحمدية والحقيقة الأحمدية

وكما يكثر استعمال الصوفية لمصطلح الحقيقة المحمدية، كذلك يكثر استعمالهم لمصطلح الحقيقة الأحمدية، وقد كان للإمام الكتانى المهيع الواسع فى هذا باب فما الفرق بينهما ؟

يتبع إن شاء الله تعالى





٧

أركان الطريقة

الحلقة الثانية



د. مختار محسن الأزهري

أمين فتوى بدار الإفتاء المصرية

facebook.com/mokhtar.mohsn

تعرضنا في المقال السابق لمفهوم الطريقة، كأحد المفاهيم الأساسية للتصوف، وعرفنا أن السادة الصوفية استمدوا هذا المفهوم من الشرع الشريف، ووفق قواعد اللغة العربية، وقد مثَّل مفهومُ الطريقة أساسًا تقوم عليه التربية الصوفية التي تحافظ على مواريث النبوة، وتربط المريد عن طريق شيخه بنور النبوة، وتُنشِّئُه على تهذيب النفس، وترك الخصال السيئة والتحلي بالأخلاق الحسنة.

وقد تناولنا المفهوم من حيث التعريف، والاستمداد، والثمرة؛ أي الغاية من الطريقة، وفي هذا المقال نتحدث عن أركان الطريقة إجمالًا:

أولًا أركان الطريقة :

فأما الطريقة؛ فإنَّ لأي طريقة أركانًا لا بد منها؛ وهي بحسب الاستقراء ثلاثة أركان هي:

(١) الشيخ (٢) والسند المتصل (٣) و المنهج.

فكل طريقة من طرق السادة الصوفية لابد فيها من هذه الأمور الثلاثة؛ وإلا لا يصح تسميتها بالطريقة؛ وفيما يلي بيان هذه الأركان:

(١) الشيخ:

فأما الشيخ فهو القائم بأمر التعليم والتربية، والذي يقوم بمهام الدِّلالة على الله بحاله ومقاله، وقد تقرر لدى السادة الصوفية أن لهذا الشيخ شروطًا ظاهرة وباطنة؛ وهي باختصار أن يوافق ظاهرُه الشرعَ الشريفَ، وأن يكون باطنُه عامرًا بمعرفة الله جل في علاه، وأن يكون عالمًا بطرق الدلالة على الله، وما تحتاجه النفوس في سيرها إلى الله.[١]

وعمدة ما يمكن أن يُذكر في هذا الباب هو ما قرره الإمام العارف سيدي أبو العباس ابن عجيبة رضي الله عنه مستخلصًا إياه من كلام أئمة الطريقة الشاذلية ممن سبقوه فقال: «من شروط الشيخ أربعة: علمٌ صحيح، وذوقٌ صريح، وهمةٌ عالية، وحالةٌ مَرضية؛ فالعلم الصحيح هو ما يُتقن به فرضَه، ولا بد أن يكون عالمًا بالمقامات والمنازل التي يقطعها المريد، وبغرور النفس ومكايدها، قد سلك ذلك على يد شيخ كامل، وذاق ذلك ذوقًا لا تقليدًا، وهو المراد بالذوق الصريح، والهمة العالية هي المتعلقة بالله دون ما سواه، والحالة المرضية هي الاستقامة بقدر الاستطاعة ولا بد أن يكون جامعًا بين حقيقة وشريعة، وبين جذب وسلوك؛ فيجذبه بجذب القلوب، وبسلوكه يخرجها من حالة الجذب إلى البقاء، فالسالك فقط ظاهري لا يَجذبُ ولا يحقق، و المجذوب فقط لا يَسير ولا يُوصل، وفساد صحبته أكثر من نفعها» اهـ.[٢]

فما قرره الشيخ ابن عجيبة هنا هو جملة ما ينبغي أن يكون عليه شيخ الطريق الذي عليه مهمة نقل أخلاق الدين وتحويلها إلى واقع في حياة السالكين، وأيضًا الشيخ يقوم بدور مهم وهو المعونة على البر والتقوى؛ فإن حاله يرفع من حال المريد، وهمته تسري في نَفس المريد، فعندما يجد المريد في همته ضعفًا وفي حاله نقصًا يسارع إلى شيخه ليستمد منه العون والإرشاد، فيقوم الشيخ مستعينًا بالله بمعونته وإرشاده ظاهرًا وباطنًا؛ والشيخ الذي يفعل ذلك يكون وارثًا محمديًا يستمد نوره من نور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال الشيخ العارف الدباغ رضي الله عنه: «إن المريد إذا قال لا إله إلا الله قبل أن يلقَى الشيخَ الكامل يقولها بلسانه وقلبه غافل، والشيخ يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته، فإذا لقَّن المريد سرت حالتُه في المريد؛ فلا يزال يترقى إلى أن

(١) انظر حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسى صـ ٦٩، ط.دار التقوى-سوريا، وقد ذكر الشيخ رحمه الله في كتابه هذا أربعة شروط للشيخ؛ فراجعه.

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة صـ ١٠٠،ط.مكتبة الفجر الجديد

أن يبلغ مقام الشيخ إن قَدَّر الله له ذلك» .[٣]

فبان من ذلك كله سر تمسك السادة الصوفية من كل طريق بركن الشيخ؛ لما فيه من أخذ بأسباب الترقي والسير في الطريق إلى الله.

(٢) السَنَد:

إن طريق التصوف هو طريق اتباع لا ابتداع؛ ولذلك فطرق السادة الصوفية لا بد لها من إسناد ينتهي بصاحب الشرع صلى الله عليه وآله وسلم، والتصوف في ذلك لا يخرج عن باقي العلوم الإسلامية التي تروى بالإسناد المتصل؛ لأن ذلك مما يميز الأمة المحمدية المباركة .[٤]

فو هذه الأسانيد تميز ما بين الصادق والمدعي، وما بين المحق والمبطل، حيث تقصر التلقي والانتفاع على من اتصل سنده وتحققت وراثته، ومن فوائد الإسناد أنه يجعل أمر الطريق من قبيل الحقائق الشرعية لا الأوهام الشيطانية، فإن المريد إذا تعرف على سلسلة الطريق، وعلم رجالها، وتمسك بحالهم؛ عند ذلك يسرى منهجهم فيه ، ويتعلق بهم على نحو يتم به أمر الصحبة والاقتداء، وهو خلاف ما يكون من أصحاب الدعاوي والأباطيل الذين يجمعون الناس حول أهوائهم وتوهماتهم، فلا طريق يقطعون ولا إلى حقيقة يصلون.سرت حالتُه في المريد؛ فلا يزال يترقى إلى أن يبلغ مقام الشيخ إن قَدَّر الله له ذلك» .

(٣) المنهج:

لا يتصور وجود أي طريقة من غير أن يكون لها منهج واضح، يتمثل هذا المنهج بشكل أساسي في برنامج العبادة والسلوك الذي يحدده شيخ الطريقة؛ وهو لا يخرج بطبيعة الحال عن جملة الأوامر والتوجيهات الشرعية، وإنما يكون ذلك بمثابة برنامج خاص بمريدي الطريقة بما يوافق حالهم وزمانهم، وللشيخ أن يعين لبعض المريدين ما يناسب حالهم من ذكر أو سلوك، والهدف من ذلك كله هو حمل المريد على ما يؤدي به إلى تحقيق العبودية وتهذيب النفس بالتخلي عن القبيح والتحلي بكل خلق صحيح، ولذا نجد في مناهج الطرق برامج للذكر متنوعة؛ فمنها أذكار الصباح والمساء، ومنها الذكر بالأسماء الحسنى[٥]، ومنها المجاهدات المختلفة الصيام والخلوة، وهو ما يطلق عليه الأوراد أو الوظائف، وقد أشار الإمام القشيري رضي الله عنه لأهمية ذلك في رسالته فقال نقلا عن بعض أكابر الصوفية: «كل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله تعالى

---

(٣) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز لأحمد بن المبارك صـ٢١٦ ط.الميمنية

(٣) لمعرفة المزيد عن أهمية الإسناد وتفصيل إسناد الطريقة الصديقية الشاذلية، انظر سلسلة الطريقة الصديقية الشاذلية لمولانا أ.د. علي جمعة

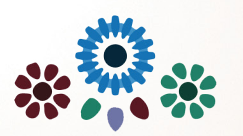
(٥) للقطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني رسالة مباركة في بيان كيفية التعبد بالأسماء الحسنى تسمى «رسالة في الأسماء العظيمة» وقد طبعت في دار السنابل-دمشق بتحقيق: محمد غسان عزقول

لطائفه»[٦] وقال كذلك: «من لا ورد له بظاهره لا وارد له في سرائره» فحيثما وجدت الطريقة وجدت معها وظائفها وأورادها ومنهجها الذي يستقي نوره من الشرع الشريف؛ فلا يقبل في التصوف من لا يلتزم بالشرع ولا من يستقي منهجه بعيدا عنه، ومن هنا نقل القشيري أيضا عن بعض الأولياء قوله: «أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد».

وبهذا الإيضاح يكمل لنا إجمال ما للطريقة من أركان تقوم عليها وتستند إليها، ويبقى لنا بإذن الله كشف ما أثاره بعض النابتة من شبهات على مفهوم الطريقة وأركانها.

---

(٦) الرسالة القشيرية ١٦٢/١ط.دار المعارف



أعوذ بك من مقام الكاذبين
وإعراض الغافلين
اللهم لك خضعت قلوب العارفين
وذَلَّت لك رقاب المشتاقين
إلهي : هَبْ لي جُودك
وجللني بسترك
واعف عن تقصيري بكرم وجهك

الإمام الشافعى قدّس الله سرّه

٨

مولاي العربي الدرقاوي

مجدد الطريقة الشاذليّة

الحلقة الثانية

عبدالعزيز معروف

باحث في التراث الصوفي



بين الشيخ والمُريد

«لا يعرف سيدي علي إلا من كان سيدي علي»، هكذا كان يجاوب الشيخ العربي الدرقاوي حينما يسأل عن شيخه ومربيه : سيدي علي الجمل، الذي ورث عنه الطريقة، وأثَّر فيه أيما تأثر، حتى ذكر المترجمون أن الوارث لسيدي على الجمل هو الشيخ العربي الدرقاوي، فمن هو الشيخ علي الجمل، وكيف أثر في الشيخ الدرقاوي؟ وكيف تكون علاقة المريد مع شيخه حتى ينتفع بمدده؟ هذا ما سأتناوله في هذا المقال.

أولا: اسمه ونسبه، ومولده:

هو شيخ الطريقة، وإمام أهل الحقيقة، قطب الأنام ، صاحب العلوم اللدنية، ينبوع الكمال، سيدي الشيخ علي العمراني، أبو الحسن الملقب بالجمل بن مولانا عبد الرحمن بن مولانا محمد بن مولانا علي، وينتهي نسبه إلى مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن مولانا وسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أما عن تاريخ مولده، فلم أقف عليه، ولكن ما وقفت عليه أنه ولد بفاس بعد خروج والده من بني حسَّان، وتوفي بفاس كما سيأتي.

ثانيا: ذكر بعض فضائله رضي الله عنه، وكيف ينتفع المريد بشيخه:

مَنَّ الله عليه في أول بداية أمره

– سلوكه الطريق – أنْ تفضلَ المولى عليه بالذكر، يقول رضي الله عنه: «اعلم أنه مما من الله علي به في أول ابتدائي أن تفضل علي بالذكر، ثم استخرج لي من الذكر الحضور ، ثم استخرج لي من الحضور العلم؛ أي علم الإلهام، ثم استخرج لي من العلم الغيبة عما سوى الله، ثم استخرج لي من الغيبة عما سواه المعرفة بالله».

من النص السابق يمكننا أن نحدد بعضا من مناقب هذه الشخصية الفذة، ولكن لهذا النص تكملة في غاية الأهمية، وهي قوله: «ولا علينا إلا فضل سادتنا الذين أيدنا الله بهم ورافقونا في هذه الأحوال كلها، جزاهم الله عنا خيرا، أرشدونا ونصرونا وأدبونا وهذبونا ، ما علينا إلا فضلهم، جعلنا الله من السالكين على منهجهم القويم، وأماتنا على محبتهم آمين بفضله وإحسانه».

أقول:

١. ما ذكره سيدي علي الجمل في طريق سيره ونهايته هو غاية كل سالك لطريق القوم، ألا وهو التحقق بالوجود الحق ، وشهود الأحدية فيه، ومشاهدة ذلك الجمال المحض والكمال الأقدس والقرب من الله بالصفة ، واتصال السرائر به.

٢. فتح الله على سيدي على الجمل بالذكر وحبه، ولكنه لم يسير في طريقه وحده، بل تحت رعاية ونظر مشايخه، فالطريق سفر إلى الله تعالى ، والمريد مسافر، فعلى المريد أن يسلك طريق القوم وأن يجتازها مرحلة مرحلة، وأن يقطع عقباتها عقبة عقبة ، وهذا الطريق متشعب المسالك والدروب، ومحفوف بمن يثبط عنه، فالشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، ولذا كانت مهمة الشيخ وهي مهمة خطيرة ودقيقة، فهو للمريد كالطبيب الذي يداوي علته، ومما يذكر في باب تلقين الذكر ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث شَدَّاد بْنُ أَوْسٍ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، حَاضِرٌ يُصَدِّقُهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ فَقَالَ: «هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟» يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ. فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ، وَقَالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فَرَفَعْنَا أَيْدِينَا سَاعَةً، ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: « الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ» ثُمَّ قَالَ:«أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ»(١).

فسيدي علي الجمل هنا لا ينسب لنفسه أي شيء، بل منة من الله عليه بها، بفضل مشايخه، وكذا فعل تلميذه سيدي العربي الدرقاوي رضي الله عنه، فذكر أن من فضل الله عليه وجود سيدي علي الجمل وقال الكلمة التي افتتحنا بها مقالنا، لا يعرف «لا يعرف سيدي علي إلا من كان سيدي علي»، ومن هنا جاء الانتفاع السير على المنهج، والأدب مع المشايخ، والصبر على الطريق وعقباته.

فأول منقبة نذكرها لسيدي علي الجمل وورثها منه سيدي العربي، هي الأدب، ومعرفة حقيقة النفس.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٧١٢١

ويذكر سيدي علي الجمل عن شيخه العربي بن عبد الله أنه قال له يا ولدي هذا الأمر الذي أراك تطلب لا ينال إلا بما أراك تفر منه وهو الذل، أحببت أم كرهت، لا سبيل له سوى هذا، لا سبيل له سوى هذا ، لا سبيل له سوى هذا».

فهنا الشيخ يعلم حال مريده وما يصلحه، ويعلم ما يصيب النفوس، فأدخله من باب الذل والافتقار إلى المولى عز وجل، قال موسى عليه السلام: يا رب أين أبغيك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم»، ومن هنا قال ابن عباد: «ولا شك أن الذل والافتقار من أوصاف العبودية، فالتحقق بهما مقتض للوصول إلى حضرة الرب»، ويفتح بابا عظيما للمريدين، وكما قال تلميذ سيدي العربي الدرقاوي، سيدي البوزيدي:

من أراد الشراب ورفع الحجاب
فليأت للباب قبل أن يغلى

يأتي مقيد فاني مجرد
من طلب يورد يرضى بالقتلى

بقتل النفوس وفنا المحسوس
حضرة القدوس فيها يتولى.

فهنا نقل سيدي الجمل لتلاميذه ما تعلمه من شيخه العربي بن عبد الله، وهذا واجب المريد إذا ترقى في طريقه وصار له مريدين أن يعلمهم ما تعلم، وأن ينظر في حال كل واحد منهم ويعطيه ما يناسبه، ويذكر في هذا سيدي علي الجمل أنه سأل شيخه، فقال له: يا سيدي رأيت نفسي ضعيفا من جهة القول قويا من جهة الفعل، وخفت أن يتعذر أمري من أجل ذلك.

قال لي: احمد الله على ذلك، واعرف منته عليك فيك، ولو جعل الله القوة التي جعل فيك في الفعل في القول لأهلكك العامة؛ لأنك إن سلمت من أهل الرياسة لا تسلم من علماء الشرائع.

وهنا يتأيد ما ذكرت أن الشيخ علم ما يناسبه فدله على الرضا بما هو فيه؛ لأنه في حال قد تصدر منه بعض العبارات التي هي من قبيل الرموز، وأن حاله الآن قد لا يحسن فيه التعبير عن قوة الواردات التي تتنزل عليه، فسكَّن نفسه، وهذبها. وهذه منقبة أخرى، أن المريد يسأل شيخه عن أحواله، وما يتطلع له، فيدله الشيخ عما يناسبه.

وأحب أن أختم هذا المقال بمقولة لسيدي محمد البوزيدي؛ تلميذ سيدي العربي الدرقاوي تلميذ سيدي علي الجمل، ينصح بها المريد: «ولا يصل لمقام المشاهدة إلا على يد شيخ عارف، ولا إلى مقام المراقبة إلا على يد عالم عامل؛ لأن رؤية الأكوان لا يرفعها إلا من رفعت، أي الأكوان، وهم العارفون، فاصحبهم يا أخي! تسترح من هم رؤية الأكوان ، فلا ترى عينا مع العيان، لا أنت، ولا شيئا من الأكوان، ثم تراها وتثبتها بالملك المنان، فافهم»(٢)، وللحديث بقية.

(٢) الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية ، للإمام محمد البوزيدي المستغانمي ، دار الكتب العلمية ص٣٩.

٩ بين الدعاء والإجابة

أسامة مُحسن

من أكثر الأشياء التي يقوم بها الناس ويكثرون من فعلها عند حصول الأزمات ونزول المصائب هي الدعاء، ثم تنشغل أذهان الناس ويزداد اهتمامهم أكثر بتحقق المدعو به وهي إجابة الدعاء خصوصًا لوجود الموعود الإلهي بإجابة السائلين حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠] ، لكن الأمر في الدعاء أوسع من تحقيق المراد فلما غاب عن الكثير حقيقة الدعاء كما غاب عنهم مفهوم وحقيقة الإجابة راح الناس يتعاملون مع الدعاء بقلق وشك وربما لم يقم به بعضهم لجهلة بهذه العبادة وظنًا منه أنه ليس لها فائدة من وجهة نظره؛ لأنه بالدعاء أو من غير دعاء لن تنال إلا ما كُتب لك من رزقك، وهذا حق لكن ماترتب عليه من السلوك وهو عدم الدعاء باطل.

فالحقيقة أنك لن تنال في هذه الحياة سوى رزقك المكتوب لك، لكن لا يترتب على ذلك إيقاف عبادة مستقلة وهى الدعاء، كما أننا لن ندخل الجنة إلا برحمة الله، وهذا ليس تعطيل للفرائض، وراح بعض ممن تغيب عنه حقيقة العلاقة مع الله تبارك وتعالى ، بأن يتهم بعضهم نفسة بأنه ليس أهلًا للعطاء، أو أنه ليس صاحب حظوة عند الله، وأن الله لايحبه أو لا يريده في طريقه، وأن عدم التحقق الفوري للمدعو به دليلًا على ذلك وراح آخرين لجهلهم بصفات الله تعالى وأسمائه يتهمون الرب تبارك وتعالى ويصفونه بالعجز لعدم اجابتهم أو راحوا يدَّعون دعوى فاسدة كاسدة بأن عدم تحقق الإجابة دليل على أنَّ الله غير موجود في الحقيقة؛ لكونه لو كان موجودا ما تركنا على هذه الحالة التي نزلت بنا أو أخرجنا منها إجابةً لدعائنا برهانًا منه على صدق وجوده، وجميع هذه الأفكار غير موفقة للصواب نشأت من قلة العلم وقلة المعرفة بالله.

فالدعاء في الشريعة الإسلامية له شأن عظيم فهو عبادة بل هو أصل العبادة وروحها فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ : ﴿ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]، بل الدعاء من أكرم الأمور على الله تبارك وتعالى فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال: «ليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء».

وأحب أن أقول:

١. أن الدعاء في الحقيقة أوسع وأشمل من قضية تحقق المدعو به فقط لاغير إذ هو يشمل التحقق للمدعو به وينطوي على ما هو أعظم من ذلك، فهو في ذاته عبادة بل أصل العبادة وارفعها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم «الدعاء مخ العبادة».

٢. كما أن الدعاء عبودية لله فبه ينكسر العبد لسيده متذللًا على أعتابه متحققا بعجزه راجيًا النوال من مولاه يقول سيدي تاج العارفين أحمد ابن عطاء الله السكندري قدس الله سره: «لا يَكُنْ طَلَبُكَ تَسَبُّباً للعَطاءِ مِنْهُ، فَيَقِلَّ فَهْمُكَ عَنْهُ، وَلْيَكُنْ طَلَبُكَ لإظْهارِ العُبودِيَّةِ وَقِياماً بِحُقوقِ الرُبوبِيَّةِ».

٣. كما أن الدعاء وصال مع المحبوب حيث أنك تخاطبه وتطلب منه فتتدلل عليه تدلل المحب لحبيبه وكان سيدي محمد عوض المنقوش يقول: «الدعاء فن الأحبة حتى مع تحقق الطلبات لاتتوقف عن الدعاء ولذلك ظل النبي يدعو بالنصر وكأنه لم يعلمه الله بشيء، وكأن لسان حاله الشريف يقول وإن فعلت ما يليق بك بنصرنا على قريش في بدر، فلا ينبغي ان نتوقف عما يليق بنا من الطلب والعوز والحاجة والتذلل والافتقار إليك».

٤. والدعاء أيضًا دليل على المعرفة بالله ولذلك تجد أن الدعاء قد يكون مطلق الثناء على الله، والثناء لاينشأ إلا عن علم كما أنه وسيلة العطاء المحققة على اليقين يستجيب ويجيب المجيب سبحانه وتعالى، لكن المسألة تتعلق بالقوانين التي يخضع لها البشر والتي لا يخضع لها الإله وهي الزمان والمكان والأسباب، غير أن المسألة مسألة وقت، كما أن الإنسان يحتاج إلي أن يفهم حقيقة الإجابة ومعانيها فتأتي الأجابة بمعنى الرد أجابك: بمعنى رد عليك «لبيك يا عبدي»، وذلك شرف عظيم أن يجيب الملك على العبيد وهو صورة من صور الوصال مع الملك العلام .

وتأتي الإجابة بمعنى تحقيق المراد والعطاء أجابك: أعطاك وحقق مرادك ولذلك يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري : «متى أَطْلَقَ لسانَكَ بالطَّلبِ؛ فاعْلَمْ أنَّه يُريدُ أنْ يُعطيَكَ» وذلك التحقيق إما أن يكون في الحال أو بعد الدعاء أو في البرزخ أو في الآخرة أو في الجنة لأن الدنيا ليست مؤهلة لكل صور العطاء كما أنها ليست نهاية الحياة.

١. وتكون الإجابة بمعنى عطاء ما يصلح لا ما تطلب، فتكون أجابك : أعطاك ما يصلحك لا ما تطلبه وفي الوقت الذي ينفعك لا قبله ولا بعده يقول سيدي ابن عطاء الله السكندري : «لا يَكُنْ تَأَخُّرُ أَمَدِ العَطاءِ مَعَ الإلْحاحِ في الدُّعاءِ مُوْجِباً لِيأْسِكَ. فَهُوَ ضَمِنَ لَكَ الإجابَةَ فيما يَخْتارُهُ لَكَ لا فيما تَخْتارُهُ لِنَفْسِكَ. وَفي الوَقْتِ الَّذي يُريدُ لا في الوَقْتِ الَّذي تُرِيدُ».

٢. من عرف الله علم أنه سبحانه يعطي عبده بدون سؤال أو طلب ويعطي إذا طلب منه عبده لكن في الوقت الأنسب ويعطي ما يصلح به حال عبده ويمنع لحكمة ويعجل العطاء لحكمة ويؤخره لحكمة فنحن ندعوا ربًا كريمًا جوادًا حكيمًا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



قصدت الله حجًّا بعد سمعي ..
لداعي الواصلِ قد رفعَ الأذانَا
فقمتُ متيَّمًا قد زادَ شوقي ..
لبيتِ اللهِ أبغيهِ أمانا
ورحتُ أفتِّشُ الدنيا وقلبي ..
يريد الوصل أجرًا والجِنانا
بحثتُ عن المطيِّ فلم أجدْها ..
وقل الزاد والبعد اجتوانا
عجَزتُ عن اللحاقِ بركبِ قومٍ ..
إلى حيث الهدى والفتحُ كانَا
همَى دمعي وزادَ الوجدُ عندي ..
متى أُدعَى وأشهَدُهم عيانا
قضيتُ الليلَ في شكوى لهمي ..
أيا ربي متى نُؤتى قِرانا
وقلبي بين أضلعهِ سجينًا ..
وعينُ الأرضِ تبكي مِن بُكانا
أتى من عند أحبابي رسولٌ ..
يبشّرُني بأن الوقت حانَا
وأبلغني رسالتهم: هنيئًا ..
بُراق الحبِ يوصِلُكم حِمانا
وألبسَني إزارًا من صفاءٍ ..
رداءُ الطهرِ من حِبِّي أتانا
هنا الإحرامُ عن جسدٍ ودنيا ..
رفارف قربه اخضرَّتْ حسانا
تلاشت صورتي فتطوف روحي ..
وأرشُفُ من معينِهمُ حنانا
وأسمعُ صوتَ قائلِهم ينادي ..
هو المقصودُ فاهنأ يا أخانا



اللَّهُمَّ صَلِّ صَلَاةً كَامِلَةً

وَسَلِّمْ سَلَامًا تَامًّا عَلَى نَبِيٍّ

تَنْحَلُّ بِهِ الْعُقَدُ

وَتَنْفَرِجُ بِهِ الْكُرَبُ

وَتُقْضَى بِهِ الْحَوَائِجُ

وَتُنَالُ بِهِ الرَّغَائِبُ وَحُسْنُ الْخَوَاتِيمِ

وَيُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ

وَعَلَى آلِهْ

وتُسَمَّى بالتفريجيَّة والتازيَّة والناريَّة

من ذكر بها عدد ٤٤٤٤ مرَّة في حاجة

قضاها الله تعالى له كائنة ما كانت

عن مولاى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التازى الوهرانى قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ

١١

الحركة بركة: من وحي مناسك الحج



عبدالله أبو ذكري

facebook.com/abdullah.abouzekry

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يهل علينا في قابل الأيام شهر ذي الحجَّة، وقد تمنع الكورونا إتاحة الحج لشريحة كبيرة من المسلمين، فنسأل الله العظيم أن يمنّ علينا وعلى الأمّة بالعافية وأن يصرف البلاء والوباء. وإذا ذُكر الحَجّ هامت القلوب وتشوّقت الأرواح للطواف بالبيت العتيق والسعي بين الصفا والمروة وزيارة الحبيب المصطفى والنبي المجتبى صلى الله عليه وآله وسلَّم. والحجّ من الشعائر العجيبة، تكثر فيها الرمزيّة والدلالات الربانيّة على الوحدانيّة، ويعلّمنا فيه ربنا سبحانه وتعالى معانٍ كثيرة، كأنّها عِقد نور كلّما أخذت حبَّة انسالت إليك الأخرى، معانٍ شريفة لا تنتهي.

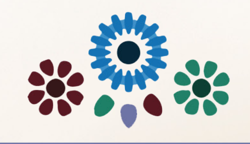
ومن هذه المعاني الجليلة الجميلة نعمة الحَرَكَة، وقد جعلها الله تعالى صورة ومظهرًا للصلاة التي هي عماد الدين، فجعل الركعة في صورة الحركات ما بين القيام في سكون والركوع والرفع والسجود والجلوس، ولم يجعلها على هيئة واحدة من السكون، بل جعلها جامعة بين الحركة والاطمئنان في السكون، وإذا جئنا لشعائر الحجّ الشريفة وجدناها قد شُيِّدَت على حركة المشي، فالطواف الذي هو أخو الصلاة هو عبادة المشي في خشوع لله تعالى حول بيته الحرام والكعبة التي جعلها قبلة للناس، ثم تعبّدنا بالهرولة وهي إسراع المشي، وجعل المشي بين الصفا والمروة «سعيًا»، فإلى أي شيء «نسعى»؟ هل نسعى من الصفا للمروة؟، ولماذا نبدأ من الصفا؟ قال بعض أهل الله: «من صفا يُروى»، وفيها إشارة إلى التخلِّي من القبيح والتحلِّي بالصحيح، فمن صفا من الأكدار رُوِيَ بالأسرار والأنوار، وهذا «السعي» يكون مشيًا ثم هرولة في بعضه، وكأنّ في هذا المشي سِرٌّ رباني ومعنى يجب التنبّه له.

وإذا تأمّلنا المشي في الشريعة وجدناه موجودًا في المشي للصلاة، قال رسول الله صلى الله عليه

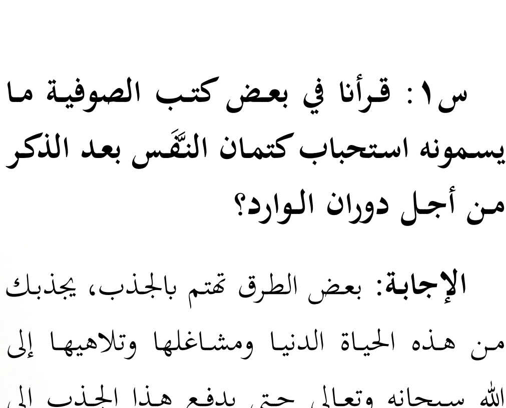
وآله وسلم: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح» أخرجه البخاري ومُسلم، وقال أيضًا «أعظمُ الناسِ أجرًا في الصَّلاة أبعدُهم فأبعدُهم ممشًى» أخرجه مُسلم، إذا السِرّ في المشي؟، وقال أيضًا: «مَن تطهَّرَ في بيتِه، ثم مَشَى إلى بيتٍ من بيوتِ اللهِ؛ ليقضيَ فريضةً مِن فرائضِ اللهِ، كانتْ خُطواتُه: إحداهما تحطُّ خطيئةً، والأخرى ترفع درجةً» أخرجه مسلم. وقال: «ألَا أدلُّكم على ما يَمْحو اللهُ به الخطايا، ويرفعُ به الدرجاتِ؟ قالوا: بلي يا رسولَ الله، قال: إسباغُ الوضوءِ على المكارهِ، وكثرةُ الخُطا إلى المساجدِ»، فيشير صلى الله عليه وآله وسلم إلى فضل المشي إلى المساجد، حتى يرفع الله الدرجات ويمحو الخطايا للمسلم بكل خُطُوة!، فهل الفضل في المساجد فقط أم في حالة المشي لله وبالله ذاتها؟ وعندها تكثر المقاصد الحسنة في الظاهر والمقصد واحد، فالله مقصود الكُلّ. فعن ابن عبّاس مرفوعًا: «من مشى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين) رواه الطبراني في الأوسط. وإذا جمعنا هذا مع الطواف والسعي، تبيّن لنا أن للمشي سِرٌ مُبارك، جعله الله فيه حتى يجعله مظهرًا من مظاهر إقامة الشعائر.

فهذا المشي في الطواف والسعي وإلى المساجد وفي حوائج الناس، فهو صلى الله عليه وآله وسلَّم يحثنا على المشي والحركة حتى نُحصِّل الخير والبركة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[الملك:١٥] فذكر الله تعالى المشي وجعله من أسباب الرزق!، فأي فضل وبركة في هذه العبادة؟، فهيا بنا نأخذ من دروس الحجّ أن المشي لله وبالله يحبه الله ورسوله، ومنه المشي كرياضة لصحة البدن وعافيته ودوران الدمّ والتفكر والتدبُّر، وأرشدنا سبحانه وتعالى إلى أنه إذا أراد بعبد خيرًا وفقه وخلع عليه من النور ما يمشي به في الناس: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي النَّاسِ﴾[الأنعام:١٢٢] فلمّا كساه سُبحانه هذا النور، أراد منه الحركة والمشي به بين الناس، فبان لنا فضل المشي والحركة.

وقد لخَّص المصريّون هذه المعان الراقية اللطيفة في كلمتان خفيفتان: «الحركة بركة»، وهما من عجيب التراكيب، فإن الحركة والبركة بغير «حُب» تكونان «ركة» من الركاكة، وهي الضعف والوهن والهُزال، وكأنّ الحركة والبركة شيء واحد، فالحركة تُحب البركة والبركة تُحب الحركة!، هذا لأنّ الحركة قد بدأت بالحاء والبركة بالباء، فكانا معًا بالحُب، وكان مشي المحب لله وبالله من أقرب القُرُبات، مشى للمسجد أو حول الكعبة أو بين الصفا والمروة أو في حاجة أخيه أو في حاجة بدنه يعين نفسه بالصحة والعافية، فاجعلوا يا عباد الله وِردًا من المشي لله، واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون.







س١: قرأنا في بعض كتب الصوفية ما يسمونه استحباب كتمان النَّفَس بعد الذكر من أجل دوران الوارد؟

الإجابة: بعض الطرق تهتم بالجذب، يجذبك من هذه الحياة الدنيا ومشاغلها وتلاهيها إلى الله سبحانه وتعالى حتى يدفع هذا الجذب الى السلوك، أي يبدأ بالجذب متجهًا به الى السلوك، وبعض هذه الطرق ومنها طريقتنا نبدأ بالسلوك حتى تصل الى الانجذاب، إلى حضرة المولى سبحانه وتعالى، فهذا وارد وهذا وارد.

فكتمان النَّفَس معناه أنه بعد الذكر نجلس هُنَيْهة – قدر بسيط من الوقت– ونغمض أعيننا ونأخذ النَّفَس ثلاثا، ثم نكتم هذا النفس في صدورنا هنيهة، ثم نُخْرِجه، «لأن الإنسان لا يستطيع أن يكتم نفسه تحت الماء أكثر من دقيقتين بالأرقام القياسية، ولكن هذا لا يتحمل دقيقتين ولا حتى دقيقه واحدة، وإنما هي قضية أنه يأخذ نَفَسه ويكتمه كما ذكرنا حتى يحتاج إلى التنفس فيخرج النفس»، ويقولون إن هذا يجعل سيلان من الواردات وهو الذي يسمونه دوران الواردات فيأتي وارد ثم وارد بعده ثم وارد بعده، وهكذا.

وهذه الواردات قد تُحدِث في قلب الانسان راحة، وقد تحدث له نوعا من أنواع الشعور بالصلة، ولكن أيضاً هي غير مقصودة، ليس هذا هو مقصودنا من الذكر ومن العبادة ومن التوجه، إنما مقصودنا هو الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، وليس أن نلتذ بالعبادة. فمن أراد أن يفعل هذا فهو جائز، إنما مع تحرير ذهنه وقلبه من أن يتعلق بغير الله سبحانه وتعالى؛ لأن تحرير القلب من هذا التعلق هو الذي سيأتي بكل هذه الاشياء بسهوله وبنظام وبوضوح وباستمرار أي تدوم، وأحب الاعمال الى الله وكذلك أحسن الاحوال عند الله ما دام واتصل.

س٢: الانقطاع عن الورد ثم العودة والانقطاع لفترة قد تزيد عن شهر ثم العودة لفترة قد تزيد أو تكثر هل هذه هي علامة على أن رزق المريد ليس في هذا الطريق؟

الإجابة: ما دمت تجد قلبك في الطريق فدُم عليه؛ لأن الامر هو أمر القلب وليس أمر المجيء والانقطاع من عوارض الدنيا، إذا وجد قلبك في هذا الطريق في فدُم عليه.

س٣: ورد عن مولانا في كتاب الطريق إلى الله قوله: والنفس مطية يقويها إنضاؤها، ويضعفها استمتاعها، فهو يقول هل هذه النفس أو الروح ؟ (١)

الإجابة: تكلموا عن هذه الأربعة: قلة الطعام، قلة المنام، قلة الكلام، قلة الأنام، هذه الأربعة هي المقصود بأن نُنضي النفس. ونُنضي النفس يعني جعلها نحيفة، أي لا تصبح نفساً ثقيلة، «بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيماتٍ يُقِمْنَ صُلْبَه»، فكما أن الجسم له ثِقل، فإن هذه النفس لها ثِقل ووخامة قد تعطلها فى الترقي إلي الله – سبحانه وتعالى – ولذلك فإن إنضاؤها يعنى نحافتها، مثلما نجد الفرس الناض أسرع لأنه لا يحمل دُهناً ولا ثِقلاً يعطله من الفوز بالدرجة الأولى فى السباق، وأن يكون المجَلّي لا المصَلّي، والمجلي هو الأول في السباق والمصلي هو الذي يأتي بعده فيكون الثاني فى السباق فى عالم الخيل.

(١) أنضاء: مثل حمل وأحمال، وجملٌ نِضْوٌ أي مهزول، والثوب أنضيته ألقيته، والنِضو بالكسر حديدة اللجام والمراد الحد من شهوة النفس.

أما بالنسبة لجزئية هل هذه النفس أو الروح، فالروح لم توصف فى القرآن الكريم، ولكن التي وصفت بأنها مطمئنه، بأنها راضية، بأنها مرضية، بأنها ملهمة ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٨] هي النفس، فالنفس هي التي ستؤاخذ. ولكن في بعض الكتب عُبِّر عن النفس بالروح؛ لتلازمهما، فالنفس تخرج عند الموت مع الروح، أما خروج النفس وحدها فهذا هو النوم.

س٤: هل كثرة الصلاة والسلام على رسول الله تقوم مقام المُربي عند البعد والمسافة؟

الإجابة: كما ذكرنا قضية الأشباح والأرواح، ولكن الصلاة على سيدنا رسول الله بركة، والإكثار منها علامة رحمة. فينبغي علينا أن نكثر الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَرُبَت المسافات أو بعدت.

س٥: لو ضاق الوقت هل يجوز أن نثلث أذكار المسبعات؟

الإجابة: لا يجوز، وإنما لو ضاق الوقت ووجدت أن الشمس سوف تشرق، وبدأت بقراءة الفاتحة بالفعل، فلو أتممتها قم بإتمام المسبعات؛ لأنك لو أنك كنت تصلي الفجر فأتممت ركعة – أي جزء من الصلاة – فأشرقت الشمس، فالوقت وقت حضور وأداء وليس وقت قضاء.

ومن هنا كان سيدنا أبو بكر يطيل في صلاته بالمسلمين فيقولون: ستصبح ستصبح، يعني

الشمس سوف تشرق، قال: لو أشرقت ما وجدتنا غافلين، فالقضية هنا أننا ما دمنا أدركنا شيئًا من المسبَّحَات فليتمه، ويكون ذلك أيضاً فى وقتها ملتزمين بشرطها.

س٦: إلى أي مدى يكون لرجال الدين المسلمين سلطة روحية على مريديهم؟

الإجابة: الإسلام ليس فيه أصلا رجال دين، فإن رجال الدين هم أولئك الطائفة في أديان مختلفة تُشَرّع لهم شريعتهم، وليس هناك هذا النوع ممن يشرع للمسلمين شريعتهم، فالشريعة الإسلامية قد كملت وتمت بنزول القرآن الكريم، وبإيضاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنته لهذا القرآن العظيم، وباجتهادات أولئك الأئمة الذين وفقهم الله من غير حول منهم ولا قوة فى فهم وفى الحفاظ على هذه الشريعة ولغتها، لكن ليس هناك ما يسمى برجال الدين، رجال الدين كلمة خطأ، ولذلك ليس هناك سلطة لأحد على أحد، الأمر كله فى العلاقة بينك وبين ربك. فشيخك ومرشدك ومقدمك إنما هو معلم ومرشد ودال على الخير، وليس مُشرع لشيء من هذا إطلاقا.

س٧: ماذا نفعل عندما يخطئ في حقنا أحد المسلمين وخاصة من الصوفية؟

الإجابة: كأنه ليس موجوداً، فلا تلتفت إليه، وتجاوز واشتغل بما شغلك الله به.

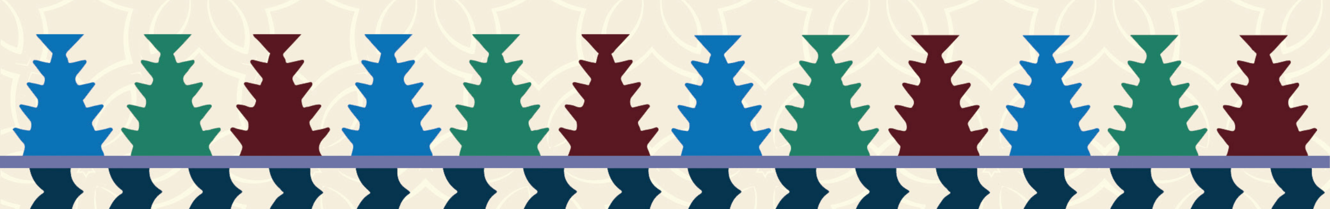
س٨: بعض الاشخاص ينتقل من طريق الى آخر ومن ورد إلى آخر؟

الإجابة: لا يُحَصِّل الأثر، أي أن هذا الشخص الذي ينتقل من طريق إلى آخر ومن ورد إلى آخر دون أن يتم، كطالب العلم الذي يقرأ في هذا الكتاب صفحات ثم يعود فيقرأ في كتاب آخر صفحات، سيظل هكذا كما يقولون «محلك سر». إذا أراد أن يصل إلى جهة معينة فسار كيلو متر ثم رجع هذا الكيلو متر من أجل أن يبدأ من نقطة انطلاق أخرى، فإنه لا يصل إلى مقصوده أبدًا.

س٩: هل يتعارض كون الإنسان مخيرًا مع إرادة الله وقهره للأشياء؟

الإجابة: أبداً؛ لأن الله هو الذي خلق لنا الاختيار، ولذلك إذا بحثنا المسألة على مستوى الإنسان، فإن الإنسان مُخير قطعاً، فلديه عقل ومعه إرادة واختيار، ولكن من جهة الرحمن، فهو خلق كل شيء، بما فيها الخير والشر والإنسان والأكوان، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد:١٦]. ولما خلقنا الله سبحانه وتعالى، خلقنا ومعنا إرادتنا، وهذا هو الذي سنحاسب عليه، باختياري أُصَلِّي أو لا أصلي، أزَكِّي أو لا أزكي، أرتكب المعصية أو أتركها، إذًا هذا باختياري أنا، وعليه يتم الحساب.

إنما هو الذي خَلَق كل شيء، كأننا هنا فى فيلم سينمائي، الذي أنتجه وأخرجه وصوره وأبرزه هو الله – سبحانه وتعالى – فهو رب العالمين. وكوني فى داخل الفيلم اتحرك، فهذا بإرادتي وبكفاءتي وكذا إلى آخره، ولكن هو الذي أوجد كل هذا الكون بما فيه. اذًا ليس هناك تعارض، لأنهما دائرتان متداخلتان وليستا متقاطعتان ولا متعارضتان.



يـا مـن تعـاظـم حتى رقّ مـعنـاه

ولا تـــردّى رداء الكِبْـــرِ إلا هُــو

تـــاهــو بحبــك أقــوام وأنــت لهــم

نعم الحبيـب وإن هـامـوا وإن تاهـوا

ولي حبيـــب عـــزيـــز لا أبـــوح بــه

أخشى فضيحة وجهي يـوم ألـقـاه

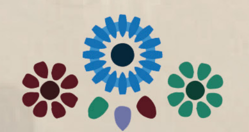
قالوا أتنسى الذي تهـوى فقلت لهم

يا قوم من هو روحي كيف أنساه

ما غاب عنّي ولكن لست أبصـره

إلا وقلت جهـــارًا قــل هـــو اللّه

الإمام الرفاعي



صور الكود للدخول
لموقع الصديقيّة





https://siddiqiya.com/info

